

أمانة ومهام الأئمة تجاه النشء في ظل التحديات الراهنة

إعداد الدكتور/ زكرياء غوبريني

المدير الفرعي للنشاط الثقافي والمكتبات بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف

تاريخ النشر: 2022/11/15

تاريخ القبول: 2022/11/10

تاريخ الاستلام: 2022/ 10/15

ملخص

يضطلع الأئمة بمساجدهم بمهام نبيلة ومسؤوليات جسيمة تجاه من ولّوا إمامتهم وتوجههم الديني، الأمر الذي يحقق فيهم شرط الواجب العيني فيما علم من ديننا الحنيف بالضرورة، في السلوك والمعتقد والتّصور، وشرف الإمامة بشرف من حاكوهم في الرسالة والوظيفة وهم الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، لذا كان العالم الداعي أو الإمام المربي في مهنته إنما هو موقعٌ عن الله حكمه، فلزم حينئذ أن يتحقق في الإمام عدّة علمية تأصيلية وملكة فقهية، تخوله تحليل الظاهرة ومعالجتها في ضوء أدلة الفقه الإسلامي، وصولاً لحلول مرنة تواكب مستجدات العصر وتطوراتها، في عصر؛ تعالت فيه صيحة التحديات على ناشئة الأمة، فناشئة اليوم يعيشون واقعا مشحونا بتحديات جسام، يتقدمها الغو الفكري بشقى صوره، ومن جهة أخرى نجدهم يصطدمون بواقع يملي عليهم حكما شرعياً يقتضي امتثال أمر أو اجتناب نهي، فيأتي الإمام هنا ليجلي هذا المبهم المُشكّل والتناقض المحيّر لأبنائنا، عارضا سماحة الدين الإسلامي وموافقته للفطرة الإنسانية، أمانة وديانة لمسؤوليات وظيفته، الدينية والاجتماعية والتربوية، لذا وجب تحقيق جملة من المهام وتحمل عبئ المسؤولية المنوطة في حقه، إبان دعوته وتعليمه وتوجيهه الديني للنشء خاصة وللناس عامة، ومن منطلق هذا الإشكال نبعت فكرة الموضوع لدى الباحث.

كلمات مفتاحية: الإمام، النشء، التحديات الراهنة، الأمانة، المهمة.

Abstract:

The imams - Mosque leaders- in their mosques carry out noble tasks and grave responsibilities towards those who have assumed their leadership and religious guidance, which fulfills the condition of specific duty in what is known of our true religion by necessity, in behavior, belief and perception, and the honor of the imamate with the honor of those who imitated them in mission and office, and they are the prophets and messengers, peace be upon them. The imam who is educator in his profession is only a position on God's rule, so it is necessary to achieve in the imam a number of fundamental sciences and a jurisprudential faculty, enabling him to analyze and treat the phenomenon in the light of the evidence of Islamic jurisprudence, in order to reach flexible solutions that keep pace with the developments of the era and its developments, in an era; The young people of today live in a reality fraught with huge challenges, preceded by intellectual delusion in its various forms. On the other hand, we find them clashing with a reality that dictates to them a legal ruling that requires compliance with a command or avoidance of a prohibition, so the Imam comes here to clarify this ambiguous problem and the confusing contradiction to our children. Exposing the tolerance of the Islamic religion and its approval of human nature, honesty and religion for the responsibilities of his job, religious, social and educational, so it is necessary to fulfill a number of tasks and bear the burden of responsibility entrusted to him, during his invitation, education and religious guidance for young people in particular and for people in general, and out of this problem stemmed the idea of the topic in the researcher.

Keywords: (The Imam, Mosque leaders, youth, current challenges, honesty, mission)

توطئة.

المسجد نبزاً ومعلماً ومؤسسة شامخة من أهم المؤسسات التربوية المؤثرة في سلوك الناشئة داخل بيوتاتهم ومجتمعاتهم، ولا أدل على كبير دوره وعظيم رسالته من مبادرة النبي ﷺ بتأسيس مسجد قباء أول وصوله للمدينة النبوية عقب هجرته الشريفة من مكة المكرمة، واعتبر بذلك أول مسجد في الإسلام، وأول صرح تأخى وتعانق فيه المسلمون من المهاجرين والأنصار، وأول معلّم ديني قضى على دوابر القبلية ونزعات الجاهلية.

ومنذ ذلك التأسيس، والمسجد يلعب دوراً جوهرياً بفضل أئمته في تربية النشء وصقل عقيدتهم، فلم يقتصر دور الإمام آنذاك على أداء الصلوات والخطب المنبرية والدروس الوعظية، إنّما جعل من بيت الرحمان مركزاً إسلامياً، وصرحاً علمياً، ومركزاً طبياً، وفضاءً للشورى والفتوى، "ومنطقاً فكرياً

ومجلساً للقضاء، ومقرراً لاستقبال الوفود وعقد المفاوضات وموثيق الصلح، فيه تعقد حلقات العلم وتلقى الدروس الدينية للكبار، وتتوفر البيئة الصالحة لتنشئة الصغار وتلقيهم الإسلام". [شحاته، 1402هـ، ص 78]

هذا، والذي يعني هذا هو بيان مهام الأئمة أمانةً وديانةً من خلال تلك المساجد، تداركاً لإيمان وعقيدة الناشئة مما يخرمها في بيوتاتهم ومجتمعاتهم في ظل التحديات الراهنة ومثيرات الفتن العاصفة، ذلك أن المسجد لا يتفعل دوره أو يثمر أكله إلا بوجود الإمام الكفاء، ذاك الإمام السائر على منهجية علمية راسخة، تمكنه من تحليل الظاهرة ودراستها قبل الإدلاء بالنتائج في شكل نشاط مسجدي عام، ولبيان ذلك أكثر نفصل دراستنا هذه وفق المباحث كالاتية:

• المبحث الأول:

1. المفاهيم الأساسية المتعلقة بمصطلحات الدراسة

إن تعريف المركبات الإضافية أو النسبية لا يتضح إلا بتعريف شقيها وحديهما، ومن ثمة تعريف المركب الذي يأخذ معنى زائداً، وعليه يتوجب على الباحث أفراد التعريف اللغوي والاصطلاحي لكل مصطلحات الدراسة على حدى، ليخلص بعد ذلك للتعريف الإجرائي للفظ المركب أو المصطلح العام المتوافق مع قالب دراسته، وتفصيل ذلك وفق المطالب التالية:

2. المطلب الأول: مفهوم الإمام

1.2. تعريف الإمام لغةً: الإمام من الإمامة، والإمامة في اللغة مصدر من الفعل (أَمَّ)، تقول: أَمَّهُمْ وَأَمَّ بهم: أي تقدّمهم، والإمام: كل من ائتمّ به من رئيس أو غيره. [الفيروزآبادي، 1404هـ، ص 87/7] ويقول ابن منظور: "الإمام كل من ائتمّ به قومٌ كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالين...، والجمع: أئمة، وإمام كل شيء قيمه والمصلح له، والقرآن إمام المسلمين، والنبي محمد ﷺ إمام الأئمة، والخليفة إمام الرعية، وأممّت القوم في الصلاة إمامة، وائتمّ به: بمعنى اقتدي به. والإمام: هو المثال، وإمام الغلام في المكتب ما يتعلّمه كل يوم، وإمام المثال ما امثل عليه، والإمام الخيط الذي يُمدّد على البناء فيبنى عليه ويسوى عليه سقف البناء...". [ابن منظور، د.ت]

ويقول المرتضى الزبيدي: "والإمام: الطريق الواسع، وبه فسّر قوله تعالى: ﴿وَلَهُمَا لِيَامِرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ سورة الحجر 79، أي بطريق يؤمّ، وبطريق يقصد فيتميّز.

وقال: "والخليفة إمام الرعية، قال أبو بكر: يقال فلانٌ إمام القوم معناه: هو المتقدم عليهم، ويكون الإمام رئيساً كقولك: إمام المسلمين...، قال: والدليل: إمام السفر، والحادي: إمام الإبل وإن كان وراءها، لأنه الهادي لها". [الزبيدي، 1421هـ، ص 244-245]

وقال الجوهري في الصحاح: "الأُمُّ بالفتح: بمعنى القصد، يقال: أُمّة، وأممه، وتأممه، إذا قصده". [الجوهري، 1359هـ، ص 143/5]

وحاصل الأمر أن جل معاني مصطلح الإمام في اللغة تدور حول: المثال، والشخص الذي تقدّم غيره، والمرء الهادي غيره للطريق صواباً كان أو خطأً، وهو الطريق الواسع، ويأتي بمعنى الخليفة، وهي معاني توجي برمتها إلى: الأمانة والمسؤولية والقُدوة والنموذج المقتدى به.

2.2. تعريف الإمام اصطلاحاً:

تعددت تعريفات العلماء لمصطلح الإمام بعدة تعريفات متغيرة، كل حسب تخصصه، وكلّ حسب سياق بحثه، فهي وإن تنوعت إلا أنها تتقارب في العام، سيورد الباحث نزراً من ذلك ليخلص بعداً إلى إيراد التعريف الإجرائي الخاص به والذي يتطابق مع سياق موضوع بحثنا، ومن تلكم التعريفات ما يلي:

﴿ عرّفه النسفي في عقائده بقوله: [نيابة عن الرسول ﷺ في إقامة الدين بحيث يجب على كافة الأمم الاتّباع]. (النسفي، 1993م، ص 179)

﴿ ويعرّفها الجويني بقوله: [الإمامة رئاسة تامة، وزعامة تتعلق بالخاصة والعامّة في مهمات الدين والدنيا]. (الجويني، 2007م، ص 15)

﴿ وأورد الماوردي تعريفاً قال فيه: [الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا به]. (الماوردي، 2013م، ص 05)

﴿ ويقول صاحب المواقف: [هي خلافة الرسول ﷺ في إقامة الدين بحيث يجب اتّباعه على كافة الأمة]. (الإيجي، 1989م، ص 395)

﴿ أما العلامة ابن خلدون فذكر تعريفاً نفيساً للإمامة قال فيه: [هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به] (ابن خلدون، د.ت، ص 190)

3. خلاصة التعريفات الاصطلاحية:

تدور في مجملها حول الخلافة، والرئاسة، والنيابة، سواء عن صاحب الشرع جل في علاه، أو عن النبي ﷺ، ومنه تأليف كتاب ابن قيم الجوزية رحمه الله والموسوم: أعلام الموقعين عن رب العالمين، بمعنى أن العالم أو الإمام أو المفتي إنما هو مستخلفٌ موقعٌ عن الله حكمه في إيراد النصوص وتبليغ الأحكام، فوجب الحذر والتأني والتثبت.

والحقيقة أن الإمام يأخذ هيبة العالم من حيث النظر إلى كبير دوره داخل المسجد والمجتمع، فلا ضير حينئذ من أن يصاغ له التعريف الإجرائي التالي:

- تعريف الإمام في الاصطلاح الإجرائي الخاص بالباحث:

إطار سامي شرفه بشرف الأنبياء والعلماء، منوطٌ في حقّه عدّة علمية تأصيلية وملكة فقهية، تخوّله تحليل المواقف ومعالجتها، وصولاً لحلول مرنة صادقة تواكب مستجدات العصر وتحدياته، مما يسهم في خدمة المؤسسة المسجدية، والارتقاء بالوسائل الاجتماعية.

4. المطلب الثاني: مفهوم النشء

1.1.4. الناشئة لغة:

يقصدُ بهم فئة الشباب المسلم ممن جاوزوا مرحلة الطفولة، وأقبلوا على مرحلة المراهقة، وسيتناولهم الباحث في دراسته اعتباراً من: (14 لغاية 18 سنة)، أي إبان تكوينهم بالطور الثانوي، وفق اعتبارات أقرها أهل الفن، من علماء النفس والشرع.

قال الفيروزآبادي: "الناشئة جيل الشباب، والناشئ هو الغلام جاوز حد الصغر، والنشء: الصغار من الإنسان والحيوان ما داموا في طور الترويض"، [الفيروزآبادي، 1407هـ، ص 147]، وقيل الناشئ فوق المحتلم، وقيل: هو الحدث الذي جاوز حد الصغر، وكذلك الأنثى ناشئ، بغير هاء أيضاً، والجمع منهما نشأ مثل طالب وطلب، وكذلك النشء مثل صاحب وصحب، قال نصيب في المؤنث:

ولولا أن يقال صبا نصيب *** لقلت: بنفسي النشأ الصغار

وفي الحديث: (نشأ يتخذون القرآن مزامير) [ابن منظور، مرجع سابق، ص 170/1]، بفتح الشين أي جمع ناشئ كخادم وخدم؛ يريد: جماعة أحداثا، أو فئة صاعدة ظاهرة، وقال أبو موسى: المحفوظ بسكون الشين كأنه تسمية بالمصدر كما جاء في الحديث: (ضموا نواشئكم في ثورة العشاء)؛ أي: صبيانكم وأحداثكم. قال ابن الأثير: كذا رواه بعضهم، والمحفوظ فواشيكم، بالفاء، وسيأتي ذكره في المعتل الليث: النشء أحداث الناس، يقال للواحد أيضا هو نشء سوء، وهؤلاء نشء سوء؛ والناشئ الشاب. يقال: فتى ناشئ. قال الليث: ولم أسمع هذا النعت في الجارية". [الأصفهاني، د.ت، ص 114]

2.4. الدلالات الاصطلاحية لمصطلح الناشئة:

1.2.4. الدلالة الأولى: أن مصطلح الناشئة فضفاض

بمعنى أن مصطلح الناشئة، لا يشيرُ عند إطلاقه مجرداً من دون إضافة إلى مرحلة عمرية محددة ومقصودة من حياة الإنسان، فالمصطلح حينئذٍ لا بدُّ له من مفعولٍ به لصرف سياق الإيهام للمعنى المراد، فيقال: (الناشئة الأطفال، الناشئة الشباب، الناشئة المراهقين، ناشئة الأشد)، إلخ، وهذا الاعتبار يقودنا إلى ما قرره علماء النفس من أن لكل مرحلة عمرية من حياة الإنسان تتميز بخصائص ومتطلبات لا بدَّ من اتمامها لتحقيق التوازن النفسي والفيسيولوجي للفرد، فجميع المراحل العمرية أصحابها ناشئة في مرحلتهم، لا ينتقلون لمرحلة لاحقة قبل اتمام السابقة، وبالتالي: أصحاب مرحلة الطفولة هم ناشئة في مرحلتهم لا ينتقلون لمرحلة الشباب إلا باستكمال الحاجات التربوية لتلك المرحلة، وهكذا دواليك بقية المراحل، غير أن الباحث وجد من نحي منحاه في مسمى الفترة العمرية التي اختارها بمسميات أخرى، كفترة المراهقة، أو مرحلة البلوغ، أو مرحلة الشباب، وهذا الأخير قاده للدلالة الثانية كالتالي.

2.2.4. الدلالة الثانية: أن مصطلح الناشئة يختص بمرحلة ما بعد الطفولة

فالنشئ كما سبق هو فويق المحتلم والحدث الذي جاوز حد الصغر، ولا شك أن مجاوزة الحلم لا يكون إلا بعد الخروج من مرحلة الطفولة، والدليل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَذِنُوا كَمَا اسْتَذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ سورة النور 59، فسئى الله تعالى المرحلة ما قبل الاحتلام بالطفولة، وبالتالي المرحلة التي تأتي بعدها هي مرحلة المراهقة.

وهذا ما يؤكد البقي أن "المرحلة التي تأتي بعد مرحلة الطفولة والصبا، أصبحت في مصطلح علماء التربية وعلماء النفس مرادفة لفترة المراهقة عندما قسّموا مراحل نمو الكائن البشري إلى طفولة ومراهقة ورشد". [البقي، 1413هـ، ص 48]

وهذا الذي اختاره الباحث من أن المرحلة العمرية للناشئة هي المرحلة التي تلي مرحلة الطفولة من حين البلوغ إلى ما دون الشباب، "ولفظ الشباب قد يطلق على الأفراد في مرحلة المراهقة، أي مرحلة البلوغ الجنسي والنضج" [مذكور، 1975م، ص 333]، كما ينبغي الإشارة إلى أن مفهوم المراهقة يختلف عن مفهوم البلوغ، "فالأول مفهوم ثقافي يشير إلى فترة هامة من حياة الإنسان، في حين أن مفهوم البلوغ مفهوم فيزيقي يشير إلى فترة محددة لها خصائص النضج الجنسي والقدرة على الإنجاب" [البدوي، 1996م، ص 123]

5. المطلب الثالث: مفهوم التحديات:

1.5. لغةً: التحديات مفردتها تحدّ، والتحدي مأخوذ من تحدّى يتحدّى ومنه الحُدْيَا، قال الخليل: "والحُدْيَا من التحدي، يقال: فلان يتحدّى فلاناً أي: يُباريه وينازعه الغلبة، يقول: أنا حُدْيَاك بهذا الأمر، أي: ابرز لي وجارني". [الفراهيدي، 2010م، ص 279/3]، وقال ابن دريد: "والحُدْيَا من التحدي، وهو التعرّض، يقال: تحدّى فلان لفلان: إذا تعرض له للشرّ". [ابن دريد، 1987م، ص 1272/3]

2.5. اصطلاحاً: "القضايا المعاصرة التي تثيرُ جدلاً في الأوساط العلمية، والدينية، والاجتماعية، بين مؤيد ومعارض لها". [لافي، 1999م، ص 110]

3.5. التعريف الإجرائي الخاص بالباحث للتحديات:

[عوائق وعوالق متعددة الأشكال والموارد، تُبثُّ في صور قوالب متنوعة، منها ما يعلق بالعقل كالشبهات، ومنها ما يفتك بالقلب كالشهوات، قصد هدم الفطرة الإنسانية وتمييعها، مما يستلزم التصدي لها، تغلباً على إفرازاتها السلبية، واستفادةً من مخلفاتها الإيجابية].
وحاصل الأمر: أن مصطلح التحديات شبيه بمصطلح الفتنة، فالفتنة ليست شرّاً بحت، لأنها ابتلاء وامتحان، قد يجتازها المرء بتفوق وقد يخفق منتكساً، وذاك راجع لقوة استعداد المؤمن وحصانته.

6. المبحث الثاني:

1.6. أمانة ومهام الأئمة

1.1.6. المطلب الأول: أمانة ومهام الإمام الدينية:

للإمام إزاء أدائه لمهمة الإمامة مسؤولية جد ثقيلة منوطٌ به تحقيق قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِأَيْدِنَا يُوقِنُونَ﴾ سورة السجدة 24، ذلك أن الإمامة وظيفة سامية خصّ الله بها أنبياءه عليهم السلام لتمكين دين الله للناس في الأرض، قولاً وعملاً واعتقاداً، فلزم حينها الصبر والمثابرة والاحتساب كون الإمام حينئذ متلبسٌ بمهنة الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ سورة الجمعة 02، ثم ورث الله شرف تلك الوظيفة السامية من بعد أنبيائه للعلماء من عباده كما جاء قوله ﷺ: (إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يَوَرِّثُوا دِينَاراً وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ) [رواه أبي داود، برقم: 3641].

وقال سفيان بن عيينة رحمه الله: "أرفع الناس منزلةً من كان بين الله وبين عباده، وهم الأنبياء والعلماء" [ابن الجوزي، 1421هـ، ص 232/2].

هذا، والمتمعّن في جوهر تلك النصوص يستنبط أن الإمام خَلَفُ الأنبياء والمرسلين والعلماء، فما أعظمه من شرف انتماء حين كان أئمةً مساجدنا خيرُ خلفٍ لخير سلفٍ في خيرية الأمة المحمّدية، فكان الإمام بذلك موقعٌ عن الله حكمه، إذ أن الناظر في مهام الأئمة عبر التاريخ الإسلامي يجدهم قاموا بأداء هذه الأمانة بكل جدارة وفخر واقتدار في ميادين مختلفة ومناصب دينية متنوعة، من الإمامة والفتوى والقضاء والحسبة والنظارة والخطابة والدعوة والإرشاد والتعليم والوعظ وغيرها... إلخ، وما زالت تلك الوظائف سارية في عصرنا الحاضر، إلا أنها اتخذت أنماطاً وقوالب مغايرة من حيث نصوص تنظيمها وتسييرها، ومعيّار اختيار الإمام وتكوينه وتعيينه، غير أن هذا التطور لا يصطدم البتّة مع الهدف والمقصد العام للإمام، من حيث إيجاد بيئة اجتماعية متديّن أفرادها وفق مرجعية وطنية موحدة، ووسطية سمحة مرنة، من حيث التوجّه العقدي والانتماء الفقهي والبناء الأصولي، وبالجملّة يمكن تلخيص تلك الأهداف في ثلاث نقاط رئيسة يضطلع بها الأئمة إزاء ممارستهم لمهامهم الدينية كالآتي:

7. التوجيه الديني والتبليغ المقاصدي:

وهذه الشعيرة لها السبق الأول والخطّ الأوفر من مهام الإمام المسجدية، سواء على مستوى خطبه، أو دروسه، أو مواعظه، أو اللقاءات التلفزيونية والكلمات الإذاعية، أو عن طريق النشر والتأليف ووسائل التواصل الاجتماعية، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

سورة فصلت 33، فيتعاهد الأئمة النشء بما خصّهم الله به من علم، وبما استفادوه من منهجية علمية واضحة إبان تكوينهم، تخوّلهم تحليل الموقف وتشخيص العلاج والدواء المناسب له، وبهذه الطريقة يتأصل الإيمان المجمل الواجب في نفوس الناس عامة والناشئة خاصة، ويتجنّبوا مواطن الشهوات والشبهات، فيعبّدوا ربهم على بصيرة ويحبّوا أحكامه بدافع الفطرة السليمة، فتغدوا حينئذ جوارحهم تترجم ذلك الإيمان بمفهوم شعبه المتعددة، من خلال أداء شعائر الله والاعتزاز بها، كالصلاة والصوم والزكاة، وإفراد الله بألوهيته وربوبيته.

في حين لو أغفل الأئمة تحقيق هذا الهدف الوجداني، واستعاضوا به بالمحصل الوظيفي فإنهم معرضون لوعيد لا تحمد عقباه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَهُدًى مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾ سورة البقرة 159، ذلك أن النشء داخل مجتمعاتهم بحاجة لملاً فراغهم الروحي فطرة من أصل خلق الله للعباد، فكانت أمانة على الأئمة تدارك الخلل في توجيه تلك الدوافع الفطرية نحو التدين الصحيح والفهم السليم للأحكام الشرعية والتكليفية، وليكن نصب أعينهم حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلّوا وأضلّوا). [رواه البخاري، برقم: 2124].

8. بيان الأحكام الشرعية للناشئة:

يضطلع الإمام من ضمن مهامه بضرورة الإرشاد الشرعي وتوجيه سلوكيات النشء الاعتقادية والمترجم منها كعمل داخل المجتمع، لا سيما تساؤلاتهم واستفتاءاتهم على الواقعة أو المشكلة أو الحادثة التي تواجههم، والناشئ اليوم يصطدم بواقع يملي عليه حكماً شرعياً معلوماً من الدين بالضرورة، وواقعاً آخر مشحوناً بتحديات محلّاة بزينة الشهوات والشبهات حسب تغير الأزمنة والوقائع النازلة، فنجدّه يتخبّط خبط عشواء في الامتثال للحكم من عدمه، حينها لا يجد سوى مكتب الإمام يقرع بابه بدافع الفطرة والخير الذي جبلت عليه قلوب الأمة المحمّدية، فتراه باحثاً عن الحكم الشرعي، أو ربما منكسر الخاطر لارتكابه نهياً أو اتيانه محرماً، فوجب على الإمام حينها ضرورة بيان الحكم الشرعي للقضية أو النازلة وإجلائها للناشئ بما يمكنه من استيعابها والأخذ بالنص الشرعي فيها ديانةً وعقيدةً، والإمام في مثل هذه المواقف مقصودٌ قرع باب مكتبه وبيته، فهو من أمر الله بالرجوع إليه عند النوازل والحوادث، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا يُّوحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ سورة الأنبياء 07، فدلّت الآية الكريمة: على أنه من جهل حكم الشيء ومآلاته وجب عليه نصاً صريحاً الرجوع للعلماء وذوي التخصص، والأخذ عملاً بما أفتوه أو دلّوه، كما أنه على الإمام أمانة ضرورة الإقناع العقلي للمستفتين حول مصابهم وإجاباتهم بوافر الجواب على مشكلاتهم لألا يقعوا ضحية الفتاوى الالكترونية

المخالفة لمرجعيتنا الوطنية، لحديث النبي ﷺ: (من سئل عن علم فكتمه، أُلجم بإلجام من نار يوم القيامة) [المسند، برقم: 7581]، فيتحقق بذلك الإعذار لدى الإمام من حيث الإبلاغ والتوجيه، والامتنال من طرف المستفتي.

9. الكفاية المنهجية في تحليل النص واسقاط الحكم الشرعي:

للإمام مهمة الكفاية المنهجية بغرض تحقيق مصالح الناشئة الدينية والدينية بطريقة متوازنة وهادفة، فيبينون لهم طرائق الخير ومراتب الإحسان ويحذروهم من الشر ومداخله، في شتى المجالات ومختلف الحالات، ويتجلى ذلك من خلال الوظائف التي توكل إليهم مثل:

■ الكفاية المنهجية للنتاج الفكري، من خلال التأكد لعدم مخالفته للشرع واصطدامه مع ثوابت الأمة في عقيدتها ووطنيتها.

■ الرقابة الأخلاقية التي تهتم بحماية عادات وتقاليده المجتمع وموروثه الديني والوطني من الاضمحلال والانحدار، من خلال بعض العادات والسلوكيات الدخيلة التي تضر بقيم المجتمع وتماسكه، وتعرقل التنشئة الصحيحة والسليمة للنشء.

والكفاية المنهجية تضمن السير الثابت للمجتمع ومؤسساته، كما أنها تندرج ضمن شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي أمر الشارع الحكيم بامثالها، كل حسب مجال تخصصه، وكل حسب قدرة تحليله وقياسه في ظل المسؤولية المخولة له وفي حدود النص المنظم لتلك العملية، وهذه الشعيرة -الأمر بالمعروف- هي "القطب الأعظم في الدين، الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوي بساطه وأهمل علمه وعمله، لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وعمت الفوضى، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بذلك إلا يوم التناد" [الغزالي، د.ت، ص 306/2]، ولأجل تلك الشعيرة استحققت الأمة الخيرية كما قال سبحانه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ سورة آل عمران 110، فإذا تخلت الأمة ومن ولّوا مهمة التربية والتعليم -وفي مقدمتهم الأئمة- لشرف انتسابهم للأنبياء والعلماء، فإنه يوشك أن يصيبهم ما أصاب الأمم الغابرة من الضعف والذل والهوان، قال ﷺ: (والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم). [رواه الترمذي، برقم: 2169].

قال النووي رحمه الله: "وإذا كثرت الخبث عم العقاب للصالح والطالح، وإذا لم يأخذوا على يد الظالم أوشك الله أن يعمهم بعقاب من لدنه بعدله ومشيتته، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ سورة النور 63، فينبغي لطالب الآخرة والساعي في تحصيل رضا الله عزوجل أن يعتني بهذا الباب، فإن نفعه عظيم". [النووي، برقم: 24/2]، وعليه وجب على

الأئمة استشعار عظيم مسؤوليتهم والافتخار بمهامهم النبيلة، فشرف الشيء بشرف النسبة له، ولا أشرف من أن الإمام يحاذي الأنبياء والعلماء في مهامهم ومنزلتهم.

10. المطلب الثاني: أمانة ومهام الإمام الاجتماعية:

إذا كان المسجد واحد من أهم الوسائط التربوية فإن الإمام الفاعل لا يحصر جهوده داخل الحرم المسجدي فحسب، إنما يتوجب عليه النزول لساحة المجتمع لتحليل ودراسة بعض قضاياها ومظاهرها النابعة منه أو الوافدة عليه، فيسهم في خدمة تلك القضايا وصدّ عوائقه تأسيّاً برسوله وإمامه محمداً ﷺ الذي حث أئمة على التعاون والتكافل والتضامن والتآزر والتآخي، فالإمام داخل مسجده مديراً وقائداً، وإذا نزل للمجتمع صار نموذجاً يحتذى به كونه الرجل القدوة به، فنال بذلك ثواب الخيرية التي مدح الله بها هذه الأمة المحمدية، فخيرُ الأئمة من خرج للناس بقصد استقصاء ودراسة مواطن النقص والإشكال لديهم، فيدرسها ويحللها، لأن التخاذل والتقاعس عن حل مشاكل الأئمة؛ له من العواقب الوخيمة ما يندُّ لها الجبين، قال ﷺ (يظهرُ هذا الدين حتى يجاوزُ البحار، وحتى يُخاضَ بالخيال في سبيل الله، ثم يأتي أقوامٌ يقرؤون القرآن، فإذا قرأوه قالوا: قد قرأنا القرآن، فمن أقرأ متناً؟!، من أعلم متناً؟!، "ثم التفت إلى أصحابه فقال: "هل ترون في أولئك من خير؟، قالوا: لا، قال: فأولئك منكم، وأولئك من هذه الأمة، وأولئك هم وقودُ النار). [أخرجه ابن المبارك، 1389: ص 152]

ويتجلى دورُ الإمام أكثر في مجتمعه فيما رواه الصحابي الجليل عمرو بن العاص رضي الله عنه حينما سمع المستورد بن شدّاد رضي الله عنه يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (تقوم الساعةُ والرُّومُ أكثرُ الناس)، فقال له عمرو: أبصر ما تقول، فقال: أقولُ ما سمعتُ من رسول الله ﷺ، قال: لئن قلت ذلك فإن فيهم لخصالاً أربعاً: [إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقةً بعد مصيبة، وأوشكهم كربةً بعد فرة، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسةٌ حسنةٌ جميلة: وأمنعهم من ظلم المملوك]. [رواه مسلم، كتاب الفتن، برقم: 7382]، وهذا مفاده "أن في الإسلام نظاماً متكاملماً لإقامة العلاقات الاجتماعية بين الناس، على وجه يبعد كل الأدواء التي تنخرُ كيان المجتمعات عن المجتمع الإسلامي" [عبادي، 2013، ص 53].

وعليه، فإذا كانت الأمة مخاطبة بهذا الأمر فإن للأئمة والعلماء دور الريادة في النزول للمجتمع والتواصل مع الناس به، فيوجهونهم بمقتضى الحال واعتبار المآل لئلا تحدث تلك التحديات شرخاً أكبر في عقيدتهم وثوابتهم الدينية وهويتهم الوطنية، والنبي ﷺ خيرُ مثال يحتذى به في هذا الصدد، "فكان ﷺ يعود المريض، ويشهد الجنائز، ويجب دعوة المملوك، قال الحسين رضي الله عنه: سألتُ أبي عن دخول النبي ﷺ فقال: كان دخوله لنفسه مأذوناً له في ذلك فكان إذا أوى إلى منزله جزاً دخوله ثلاثة أجزاء، جزءاً لله وجزءاً لأهله، وجزءاً لنفسه، ثم جزءاً جزأه بينه وبين الناس، فيسرُدُ ذلك على العامة بالخاصة، ولا يدّخر عنهم شيئاً، وكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل على قدر فضلهم في الدين، فمنهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج، فيتشغل بهم، ويشغلهم فيما

أصلحهم، وإخبارهم بالذي ينبغي لهم..." [ابن سعد، الطبقات، 1990، ص 423/1]، وبذلك نال الإمام شرف الثواب بمجتمعه بالقدوة والنموذج، وفي الآخرة بمنازل الجنان مع النبيين والصديقين والشهداء.

✚ ويمكن إيجاز بعض الدرر من مهام وأدوار الأئمة بمجتمعاتهم فيما يلي:

1. تشجيع المبادرات والإبداعات الاجتماعية، وخير دليل في ذلك تأييد النبي ﷺ لحلف الفضول حين قال: (ما أُحِبُّ أن لي بحلفٍ حضرتهُ بدار ابن جدعان، حُمُرُ النَّعَمِ، وأني أُغدر به، هاشم وزهرة، وتيم، تحالفوا أن يكونوا مع المظلوم، ما بلّ بحرٌ صُوفَةً، ولو دُعيتُ به في الإسلام لأجبت، وهو حلفُ الفضول). [طبقات ابن سعد، مرجع سابق].

2. دراسة مظاهر وقضايا أفراد المجتمع دراسة علمية تخوّل الإمام معرفة الدواء إثر التشخيص العلمي للداء، ذلك أن النتيجة المترجمة في الدروس والخطب لا تأتي آثارها إلا إذا أحسن الإمام بالمشكلة وصاغها في سياق إشكاليات موضوعية.

مساهمة الإمام بعلمه وتجربته وخبرته مع المؤسسات الخيرية، الطوعية والحكومية في ظل تخصصه

والنص المنظم لذلك، ومثال ذلك قصة يوسف عليه السلام حين قال لملك مصر ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ

الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ سورة يوسف: 55، قال ابن كثير رحمه الله: "سأل العمل لعلمه بقدرته

عليه، ولما في ذلك من المصالح" [ابن كثير، 1401، ص 395/4].

3. بذل الاستشارة والنصح والتوجيه للناس مع الرفق واللين داخل مرافق المجتمع، دون إحراج أو تعنيف، فقد مرّ النبي ﷺ كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بغلام يسألُ شاةً، فقال له رسول الله ﷺ: [تَنَحَّ حتى أريك، فإني أراك لا تحسنُ السلخ، فأدخل رسول الله ﷺ يده بين الجلد واللحم فدحس بها حتى توارت إلى الإبط، وقال: يا غلام هكذا فاسلخ، ثم مضى وصلى بالناس ولم يتوضأ]. [سنن أبي داود، مرجع سابق، ص 185/2].

4. تنسيق الإمام مع مديريته الولائية بجعل أيام مفتوحة بمؤسسة المسجد، يعرض فيها مؤلفات مكتبة المسجد لدى أفراد المجتمع، وربما أقام دورات تدريبية حول: إدارة الوقت، تعلم مهارة القراءة السريعة، التحكم في الغضب، تنمية الذات، تقوية الشخصية المسلمة، استراتيجية التفكير البناء، مهارة إدارة الأزمات... إلخ، والمراكز الثقافية الإسلامية أقرب بيئة لترجمة ذلك.

المطلب الثالث: أمانة ومهام الإمام التربوية:

يتحمل الإمام جزءاً من المسؤولية التربوية إزاء المهمة التي خولته إياها الحكومة في مسجده، فهو إطارٌ سامي بالمجتمع كما أسلفنا تعريفه، إمام، وأستاذ، ومربي، وواعظ، وقاضي، وداعية... إلخ، وبالتالي نجد أن من بعض مهامه أُمورٌ تربوية منوطٌ به تحقيقها لدى الناشئة ليعينهم على تدارك ما فاتهم، أو ما سقم من قيمهم الإيمانية، ومن ذلك ما يلي:

1.3 تلقين الأحكام العقدية والفقهية وفق منهجية تربوية:

فلا يكون همُّ الإمام إلقاء الدروس وأداء الخطب مجرد عرضٍ للنصوص والأدلة دون النظر في كيفيتها ومدى استيعاب عقل الناشئ لحجم تلك النصوص، لا سيما مدى قدرته على التفاعل معها بمسجده أو البيئة التي يؤمُّ الناس فيها، هذا فضلاً عن عدم تتبُّع أو قياس أثر تلك الدروس والخطب في التغيير الذي أحدثه على سلوكيات هؤلاء الناشئة، لأن السرد الارتجالي للأدلة والنصوص الخالية من المعالجة التربوية من شأنه الإضرار بعقل الناشئ وعدم استيعابه للهدف المراد من الإمام أن يزرعه في نفسه.

فالمنهجية التربوية في تأصيل القيم الإيمانية والمبادئ الإسلامية لدى النشء من شأنها إحداث الأثر التربوي المرتقب، أو إمكانية التنبأ به من خلال التغيير التدريجي الملاحظ في معتقد وسلوك هؤلاء الناشئة، وقد أشار منهج القرآن الكريم إلى هذه القضية الجوهرية من خلال أمر الله تعالى للعلماء والمربين أن يكونوا ربانيين إزاء تعليمهم الناس فقال سبحانه ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيَْنَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ سورة آل عمران 79، والرباني هو الداعية أو المعلم الحكيم الذي يراعي مبدأ فقه الأولويات في تلقين مهمات الدين للناس، فيبدأ بصغار العلم قبل كبيره، مراعيّاً في ذلك قدرات النشء العقلية وفروقه الفردية، والناظر في أمهات كتب الحديث النبوي يجد أن مؤلفوها انتهجوا فحوى الآية الكريمة في تبويبهم عناوين كتبهم إيصالاً للدين لهذه الأمة المباركة، فسألوه علمهم وفصلوه باباً تلو الآخر مجزاً، ومعوناً كما فعل أئمة الكتب الستة وغيرهم، وهذا الأخير يندرج تحت قاعدة عظيمة ومعتبرة في الشريعة مفادها [العبرة بالنوع لا بالكم]، ومنه قاعدة «الأدب قبل الطلب»، تحقيقاً لمبدأ الثبات والاستمرار، ولذا قال ﷺ ((إن الله تبارك وتعالى يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه)). [البيهقي، شعب الإيمان، برقم: 232/7]

2.3 لزوم قاعدة العلم للعمل:

وهذا من لوازم وظيفة الإمام ومهامه، فهو صاحب رسالة دعوية وتربوية شريفة، تهدف إلى ترسيخ مبدأ الإخلاص لدى النشء وتجنبيهم كل صور وأنماط الرياء الذي أسماه النبي ﷺ بالشرك الخفي، فضرورة تعاهد الناس عامة والنشء خاصة بالتطبيق والامتنال لما تلقوه من علم ومبادئ هو الأثر السلوكي الذي ينشده كل إمام مُربي كفاء، فإذا كان العمل ترجمةً للمعارف فإنه يسبقه مرحلتين تربويتين عظيمتين وهما: المعلومة الصحيحة الهادفة، ثم عقد الضمير على تلك المعلومة وهو ما يعرف لدى التربويين بالأثر الوجداني، ثم الترجمة الحية لتلك المرحلتين، ليكون الأمر كالتالي:

[الجانب المعرفي المؤصل + الأثر الوجداني = الأثر السلوكي السوي]

وهذا الأخير من شأنه أيضاً أن يجنب الناشئة مزالق الاضطرابات النفسية وبالخصوص الأثر المادي الملموس، حيث أن أغلب القيم الإيمانية في نظربعض الناس ممن تدرجوا في هوة التحديات لا يرون

معنى في امتثالها أو الإتيان بأوامر الله ونواهيه فيها، وبالتالي إن لم يكن ثمة تغذية راجعة ملموسة، فلا داعي للتطبيق والامتثال!

وهنا يأتي دور الإمام الفاعل في محاولة ربط الناشئ بربه، وبيان ثمرة الإخلاص في حياته وأخراه، لأن التفكير الأول لا يخلوا من تفكير قوم موسى إبان دعوة قومه للعمل بما علموه من دعوته، قال تعالى حاكياً الموقف: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ سورة النساء: [153].

والم تأمل في منهج التربية الإسلامية يجد أنه امتاز على غيره من المناهج بأنه "منهج قائم على مبدأ التلازم بين العلم والعمل والمعرفة والممارسة، وهذا من السبق التربوي الذي يسجل له، فالفلاسفة أمعنوا في المعرفة المجردة التي تُوصل في نظرهم إلى الحقيقة، والكفيلة بتغيير مسار حياة الأفراد والمجتمعات" [اليافي، 1383هـ، ص 27]، وبعضهم بالغوا في المثالية "لينشروا الفضيلة في المدينة الفاضلة فلم يعثروا عليها" [أبو العينين، دت، ص 173-175]، وجاءت المناهج الأخرى لتركز على جانب أو جانبين من تربية الشخصية الفردية والمجتمعية، فلم تهتدي إلى إعداد وإيجاد الفرد المتكامل الذي يصلح في نفسه ويُصلح غيره. [كرزون، 1418هـ، ص 77].

في حين نجد أن الدين الإسلامي حينما قرّر هذا المبدأ إنما قرّره للمصلحة الكاملة للإنسان، فشرع له الإسلام لمصلحة ظاهره، وشرع له الإيمان لمصلحة باطنه، وشرع له الإحسان لمصلحة علاقته بربه وخالقه، وسمى النبي ﷺ كل هذه الثلاثة ديناً.

3.3 توجيه الملكات العلمية وبناءها:

على الإمام مسؤولية بناء الملكة الشرعية للناشئ ومرافقة قدراته العقلية على فهم النصوص واسقاطها في جوانب حياته، لا سيما توجيهها واستطلاع مواهبه، فذاك يهوى التاريخ الإسلامي، والآخر السيرة النبوية، وهذا العقيدة الإسلامية، وذاك الفقه، وآخر الحديث... إلخ، هذا فضلاً عن إسهام الإمام في مواصلة بناء وتطوير تلك الملكات والميولات بما يخول هؤلاء الناشئة أن يكونوا قادرين على استثمار ما تلقّوه عن إمامهم من دروس وخطب في بناء أنفسهم وصد كل تحدٍّ غائر يهاجم عقيدتهم وهويتهم، وليست عناية الإمام بتوجيه ملكات الناشئة بمسجده أو مجتمعه أمراً زائداً عن وظيفته، إنما هي مهمة من صميم توجيهه الديني بوظيفته، فمنهج التربية الإسلامية في نشر العلم والتوجيه الديني والإرشاد مستمد من الهدي النبوي الشريف، إذ أنه هدي قائم على استطلاع المواهب وإخراجها من أصحابها، ومما يدل على ذلك مواقف النبي ﷺ مع صحابته رضوان الله عنهم، فكان ﷺ يتفرّس تلك المواهب ويستخرجها ثم يذكرها للناس، من ذلك ما جاء في حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (أرحم أمتي

بأمّتي أبو بكر، وأشهدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقرؤهم أبيّ، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح) [المسند، برقم: 990/12].

وكذلك توجيه بعض المواهب نحو الأفضل، كموقفه ﷺ مع أبي محذورة قال: "خرجت في نفر، فكنا ببعض الطريق، فأذن مؤذن رسول الله ﷺ بالصلاة عند رسول الله ﷺ، فسمعنا صوت المؤذن ونحن عنه متنكبون، فصرخنا نحكيه نهزأ به، فسمع رسول الله ﷺ، فأرسل إلينا قوماً فأقعدونا بين يديه، فقال: أيكم الذي سمعت صوته قد ارتفع؟ فأشار إليّ القوم كلهم وصدقوا، فأرسل كلهم وحسني، وقال لي: قم فأذن، فقمّت ولا شيء أكره إليّ من رسول الله ﷺ، ولا مما يأمرني به، فقمّت بين يدي رسول الله ﷺ فألقى علي رسول الله ﷺ التآذين هو بنفسه، فقال: قل الله أكبر الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله ﷺ، أشهد أن محمداً رسول الله ﷺ، حي على الصلاة حي على الصلاة، حي على الفلاح حي على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، ثم دعاني حين قضيت التآذين فأعطاني صرة فيها شيء من فضة، ثم وضع يده على ناصية أبي محذورة، ثم أمرها على وجهه، ثم على ثديه، ثم على كبده، ثم بلغت يد رسول الله ﷺ سرّة أبي محذورة، ثم قال رسول الله ﷺ: بارك الله لك، وبارك عليك فقلت: يا رسول الله ﷺ أمرتني بالتآذين بمكة؟ قال: نعم، قد أمرتك فذهب كل شيء كان لرسول الله ﷺ من كراهية، وعاد ذلك كله محبة لرسول الله ﷺ، فقدمت على عتاب بن أسيد عامل رسول الله ﷺ بمكة فأذنت معه بالصلاة عن أمر رسول الله ﷺ). [المرجع السابق].

كما وجّه النبي ﷺ صحابته إلى عبادة الدعاء لأجل تقوية ملكتهم العلمية كما فعل مع ابن عباس رضي الله عنهما فقال له: "اللهم فقّهه في الدين وعلمه التأويل"، أو بالتشجيع له مثلما فعل مع زيد بن ثابت رضي الله عنه حينما تفرّس فيه ﷺ مهارةً وقدرةً على تعلّم اللغات، فشجّعه على تعلّم العبرية ليترجم له ما جاء في كتبهم، فأتقنها رضي الله عنه في أيام قلائل. [ابن حجر، 1415هـ، ص 543/1].

الخاتمة:

إن تمتع الإمام بهذه المهام وامتناله في تطبيقها، إنما يدل على الدور الريادي والفاعل له بمجتمعه، لا سيما حاجة الوطن والمواطن له بمختلف الأصعدة، فهو كما أسلفنا في تعريفنا له إطار سامي بمجتمعه، وما ذاك سوى لشرف وسموّ وظيفته، ونبل رسالته، وعظيم القرآن والعلم الذي يحمله، الأمر الذي جعله يحاكي رسالة الأنبياء والمرسلين ويتبوأ منازل الجنان مع النبيين والصديقين والشهداء، وهذا ما لا نجده بوظائف أخرى، قال ﷺ: «لأمتنا عائشة رضي الله عنها: «أجرك على قدر نصبك» [رواه مسلم، كتاب الحج، برقم: 1247/2، بمعنى على قدر جهدك وتعبك.

هذا، ثم إن الإسلام كعقيدة وديانة في الوقت الراهن ولقيام الساعة يواجه عقبات ومطبات تقف أمامه وتحاول التطاول عليه إما كسراً لشوكته أو استصغاراً لقيمة أهله، وهي سنة التدافع بين الخير

والشر، الحق والباطل ليميز الله الخبيث من الطيب، قال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ سورة العنكبوت، 02، بل حتى الأنبياء عليهم السلام لاقوا تحديات رهيبة إزاء دعوة قومهم للإيمان، فقوم نوح عليه السلام قالوا لنبيهم: ﴿ وَمَا نَرَاكَ إِلَّا الْبَشَرُ مِثْلَنَا بِأَيِّ آيَاتٍ تُرَاوِي ﴾ سورة هود 27، إلا أنه عليه السلام صمد وواجه سخرتهم يقيناً منه أن الوصول للهدف الأسوأ له ضريبة هي في حد ذاتها محفز إيجابي لمواصلة الدرب، وعليه لزم الإمام مجابهة شتى صنوف التحديات بتعدد طرائقها، ومساعدة ناشئة الأمة للتغلب على الإفرازات السلبية لتلك التحديات، ذلك أن التحديات إما أن تؤثر سلباً أو إيجاباً على ناشئة اليوم، "ويكون التأثير إيجابياً إذا كان هناك استثمار منهجي لهذه التحديات"، [عزوف فريد، 1434هـ، ص 124]، ولا يتحقق ذلك إلا باتباع الخطوات المنهجية المتمثلة في معرفة طبيعة التحدي وخصائصه، ثم تحليل عناصره والتمييز بين المفيد والضار منه ثم وضع استراتيجيات للاستفادة من إيجابيات وطرح سلبياته وتقليل مفسدتها في ضوء أهداف المنهج الإسلامي ومقاصد الشريعة.

ومما يعزز هذا المنهج توجيه النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه لما أرسله إلى اليمن داعياً ومبشراً، قال له: (إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُوْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ)، [رواه البخاري، 162/5].

ففي هذا الحديث أخبر النبي ﷺ معاذ رضي الله عنه عن طبيعة القوم المدعوين وهم (أهل الكتاب)، وهذا يوحي أن ثمة تحدياً قائماً أصالةً، فهم ليسوا وثنيين بل أصحاب دين، فالمتوقع منهم أن يجادلوا ويدبُّوا عن معتقدتهم بما ورثوه عن أجدادهم، لا سيما توقعهم مقاصد دعوة معاذ كونها دعوة الأنبياء، لذا حدّد له النبي ﷺ الغاية من اتيانهم (فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ...)، وهذا فيه إلزام استئصال تحدي الشرك الذي كان قائماً فيهم، بالحوار والمناقشة، فإن هم أطاعوه، أي إن هم أقرروا بالأول ذهب للدعوة الثانية، وهذا ما يعرف بفقهِ الأولويات في التلقين والتعليم.

فحاصل الأمر إذن: أن الأئمة اليوم يجدون أنفسهم أمام تحديان، أحدهما أعظم من الآخر، فالأول يتمثل بضرورة معرفة طبيعة التحدي الذي يواجه الأمة اليوم، والثاني: ضرورة ملازمة النشء ونقضهم من لهب تلك التحديات وطرائق ولوجها إليهم، الأمر الذي يتطلب حنكة وحكمة وصبرا من الإمام على

هذه الأمانة الجسيمة والمهمة النبيلة، قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ

فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ سورة الأحزاب: 72.

قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
2. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج: *صفة الصفوة*، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، 1421هـ.
3. ابن حجر، أبو الفضل أحمد العسقلاني: *الإصابة في تمييز الصحابة*، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1/، 1415هـ.
4. ابن خلدون، عبد الرحمان محمد: *القدمة*، تحقيق: الدرويش، داريعرب للنشر والتوزيع، د.ت.
5. ابن دريد، أبو بكر محمد بن حسن الأزدي (ت321): *جمهرة اللغة*، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1/، 1987م.
6. ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد البصري: *الطبقات الكبرى*، تحقيق: محمد عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م.
7. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل: *تفسير القرآن العظيم*، بيروت، دار الفكر، 1401هـ.
8. ابن منظور، محمد بن مكرم: *لسان العرب*، بيروت، دار صادر، د.ت.
9. أحمد، ابن حنبل: *المسند*، القاهرة، مؤسسة قرطبة، د.ت.
10. أخرجه ابن المبارك (المتوفى: 181هـ)، *الزهد والرقائق*، دارالعلوم والحكم، 1389هـ.
11. أنس أحمد كرزون: *منهج الإسلام في تزكية النفوس*، ط2 جدة، دارنور المكتبات 1418هـ.
12. الإيجي، عبد الرحمان بن أحمد: *المواقف في علم الكلام*، دارعالم الكتب، بيروت، لبنان. 1989م.
13. البيهقي، أبو بكر: *شعب الإيمان*، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض، ط1/، 2003م.
14. الجوهرى، إسماعيل بن حماد: *تاج اللغة وصحاح العربية*، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، 1359هـ.
15. الجويني، أبي المعالي: *غياث الأمم في التياث الظلم*، دار المنهاج، الرياض، السعودية، تحقيق: عبد العظيم الديب. 2007م.
16. الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد: *معالم السنن بحاشية سنن أبي داود*، المطبعة العلمية، حلب، سوريا، ط1/، 1932م.
17. الخطيب، محمد شحاتة وآخرون: *أصول التربية الإسلامية*، دار الخريجي، الرياض، السعودية، ط2/، 1402هـ.
18. الخليل الفراهيدي، أبي عبد الرحمان الخليل بن أحمد: *كتاب العين*، تحقيق: مهدي المخزومي، مكتبة هلال، القاهرة، مصر، 2010م.

19. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم بن محمد: المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد كيلاني، القاهرة، مطبعة عيسى البابي، د.ت.
20. سعيد عبد الله لافي: تقويم محتوى مقررات التربية الإسلامية بالمرحلة الثانوية في ضوء تحديات العولمة، بحث مقدم إلى المؤتمر الحادي عشر (العولمة ومناهج التعليم) المنعقد في الفترة من 20-22 يوليو 1999م، الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس، مدينة نصر، القاهرة
21. الصافي، محمد البدوي: السلوك الإنساني والبيئة الاجتماعية، دار القلم، دبي، الإمارات العربية، ط/1، 1996م
22. عبادي، أحمد: فصل- الإسلام وهموم الناس، في كتاب الأمة، العدد:49، مجلة الأنوار، جامعة الأردن، 2013م
23. عبد الكريم اليافي: تمهيد في علم الاجتماع، دمشق، مطبعة جامعة دمشق 1383هـ
24. علي خليل أبو العينين: قراءة تربوية في فكر أبي الحسن البصري الماوردي من خلال كتاب: أدب الدنيا والدين، د/ط، دار الفكر العربي. د/ت
25. الغزالي، أبو حامد محمد: إحياء علوم الدين، بيروت، دار المعرفة، د.ت
26. الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط/2، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1407 هـ
27. الماوردي، أبي الحسن علي بن محمد: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق د/ أحمد مبارك البغدادي منشورات جامعة الكويت، قسم العلوم السياسية، 2013م
28. مذكور إبراهيم، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975م
29. مرتضى الزبيدي، محمد بن محمد (1205 هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الكريم الغرابوي، الكويت، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، 1421هـ
30. النسفي، عمر بن محمد: العقائد النسفية، عناية: بسام عبد الوهاب الجابي، دار النشر الإسلامية، عمان، الأردن، 1993م
31. النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف (ت676 هـ): شرح النووي على الجامع الصحيح (المنهاج)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط/2، 1392هـ.